المفـــرجي ونفـــائـــس ارشـيفه الفـنـي

برزت صورة الارشيفي المفرجي منحوتة بدقة في ذاكرة المشهد الثقافي العراقي على الرغم من جهوده الصحفية ومقالاته الساخرة في مجلة قرندل او تخرجه في معهد الفنون الجميلة او معاكساته في جيل مضطرب يحلم بالثورة الامية والتكنلوجية في واقع ريفي وعشائري يفرز قيماً متناقضة بين الحلم والواقع المر هذا كان في ليالي خمرياته يقوم بغارات على طاولات فيردي الكؤوس ويستبيح الصحون والملاعق ولكنه احتفظ في قرارة نفسه بروحه البغدادية الاصيلة ومجسه التقدمي وميوله القاسمية ووفائه لرواد الوسط الثقافي بشكل عام ورواد المسرح بشكل خاص وكان هواه مع اخيه الفنان القدير فاروق فياض مع فرقة المسرح الفني الحديث ولكم كانت فاجعة فقد شقيقه ثقيلة الوطء على الوسط المسرحي اذكر كيف كان احمد فياض في لحظة تشييع شقيقه يفصل اللحظات الاخيرة من حياة فاروق ويعكس بمرارة موجعة هموم شقيقه المسرحية حيث لم يسند اليه هذا المخرج المسرحي دورا يستحقه افضل من سواه وكيف ابعده فلان من تمثيلية تلفزيونية .

المفرجي مع د.صلاح القصب

أ.د. عقيل مهدي يوسف

هذا الحس الذي تلبس احمد فياض المفرجي اتضح في مواقف عدة من سلوكه اليومي كان معي مرة نشاهد مسرحية طلابية في اكاديمية الفنون الجميلة فاخرج قصاصة ورق ليدون فيها اسمي. كان هذا ديدنه يوثق للاحداث الجسام وللاحداث الطفيفة على مستوى واحد من الاهمية .

حين كنا في نقابة الفنانين حرصت على رفقته معي ومع زملاء اخرين لزيارة المحافظات منها الكوت وكركوك والموصل واربيل وكنا بقلوب مفتوحة نتعاطف مع فناني المحافظات وهم يكابدون الامرين من اجل التعريف بالثقافة الفنية هناك . ولم تكن مشكلاتهم غريبة علينا لاننا معها جبلنا من معدن واحد وتهمنا وتقلقنا الهواجس ذاتها وتحدق بنا المخاطر نفسها. لم اكن اعرف المفرجي شخصيا حين كان يشرف على الارشيف الفني في دائرة السينما والمسرح ، فجاة وجدته مع زوجته الكريمة في صوفيا فذهبت على الفور مع عائلته لتسيير امر سكنه والقيام بواجبات الضيافة وكان الفنان الكاتب نور الدين فارس قد بعث برسالة شفوية معي الى المفرجي يريد فيها تزويده بمصادر ومقالات محدودة لكنه رحمه الله لم يستجب للرسالة كما ينبغي حتى انه امتنع عن تزويدي انا شخصيا بما التمسه من مصادر ومراجع !! وكنت ابرر ذلك بنفسي واجد له الاعذار وهو حريص كل الحرص على ذخائره الثمينة ويخاف عليها من التسرب والضياع ولم يكن يعرفني. بعد سنوات من لقائنا هذا في بلغاريا ، وعند تعمق صداقتنا كان يلوم نفسه كثيرا على موقفه اللامعقول هذا كما يسميه ذلك لانه يهرع لمساعدة أي طالب علم .مهما كانت صفته فكيف سوغ لنفسه حجب وثائقه عن دارسي المسرح انفسهم. ما اطيب سريرته وحبه للحياة ووفائه للفن والفنانين وما افدح مصيبة فقدانه زوجته وهي تميل على ساعده في السيارة لتفيض روحها الطاهرة ولتترك اثارا ماساوية غائرة في اعماق روحه الشفافة .. قال لي حين يشعر المرء حتى حين يكون في ساعات الليل الاخيرة بانه يشكو من ضيق فينبغي عليه على الفور ان يقوم من رقدته وممارسة المشي على الفور سواء في غرفة النوم او في البيت او الشارع والا فالموت مصيره كنت اعجب من جرأته وجسارته والاعلان الصريح عن افكاره السياسية الخطرة ولايعير انتباها لكل اصناف العسس والمخبرين والمتصيدين فيقول : عار على الذين يخافون من الاعلان عن ارائهم بعد سن الخمسين وما عجبت له هو منجزه النبيل في تكوين دائرة البحوث في مؤسسة السينما والمسرح ورعاية نموها ومواكبتها للتطورات الاجتماعية ورصدها للمتغيرات الإبداعية وما تثيره المهرجانات الوطنية والعربية والفرق الاجنبية الزائرة من اسئلة البداية واضافات حقيقية للخارطة الفنية في العراق سواء في السينما والمسرح او الاذاعة والتلفزيون او الفنون الشعبية للرقص او فنون التشكيل والادب والنقد . كان حريصا على انجاز مطبوعات كتب تحصي تتتبع ما تجترحه قرائح المبدعين العراقيين بتفانٍ قل نظيره وكانه يذوب في اعمال الاخرين ويعمل على ايصال خطاباتهم الفنية الى الجمهور العريض الذي لم ينسه هو وزملاءه امثال الناقد علي حسين والصحفي عبد العليم البنا . فكان يعد استمارات واستبيانات يوزعها على الجمهور ليستخلص منها مؤشرات موضوعية مبنية على أسس علمية سليمة في فهم اتجاهات الجمهور ومعرفة تفضيلاته الجمالية والفنية والفكرية وطبيعة شرائحه وفئاته العمرية ومتغيرات جنسه . .. قال لي مرة انه فرح بكتابي الواقعية في المسرح العراقي وهو من اصدار دار الشؤون الثقافية وقال انه سيعقب عليه ولديه بعض الاستدراكات الخاصة بالرائد جاسم العبودي وهو بصدد اعدادها للنشر في جريدة (الجمهورية)وكنت انتظرها بشوق لكنها للاسف لم تظهر على الصفحة الاخيرة كما اخبرني حينذاك ...

لقد ترك رحيل المفرجي غصة في نفوس محبيه لانه كان على سجيته في حب الناس كل الناس ولم يرد ان يؤطر او يجعل نفسه كائنا مثاليا فوق الحد الادنى الذي يشترك فيه الجميع فهو يضحك وينطلق منسجما مع سجاياه اليومية ويستجيب بطلاقة للمسرات الصغيرة ويمتع اصدقاءه بطرائفه ودفئه وحزنه وصدقه وما وجدته يوما يدعي الزعامة او الفحولة او التفرد الكوني النرجسي الفائق او اعجوبة زمانه كما يحاول بعض الشقاة تلفيق شخصياتهم الملائكية المزعومة !! بل كان انسانا نبيلا في كتاباته وحقيقيا في واقعه تتجاذبه الحياة بجبروتها وقساوتها وعتوها وكذلك في اقبالها بعد ادبارها وفي رخصتها بعد شحة جحود . مازال الوسط الجامعي يتباهى بتلؤلؤ اسمه في الرسائل والاطاريح والبحوث والمقالات لانه شكل ذاكرة ثمينة لايعرف قدرها الا من يحاول البحث عن خيط واه في خيوط متشابكة في الاقبية الرطبة والجذاذات الصفر والجرائد المندرسة في حين انه يغدقها عليهم بغبطة وبلا منة اكرم به من رائد في ارشفة ذاكرة وطنية وما ابهاها وما اعلى روحه ونبل مسعاه وهو يتوارى خلف الكواليس ويذوب في الابدية ليترك كنوزاً ارشيفية للاجيال من بعده تزهو بالعلم وتتكاثر بالمعرفة وتحيا بروحها المستقبلية من اجل خير الوطن وسعادة ابنائه .

نقـــطـــة ضـــوء

غرفة في الطابق الثامن

علي حسين

اتخيله في مكانه الاثير الى قلبه .. الغرفة المليئة بالاوراق والكتب والمطبوعات في الطابق الثالث من بناية دائرة السينما والمسرح في الصالحية .. يقرأ في اوراق ممزقة امامه .. يتحدث مع طالب مسرح او يدقق في وجوه السائلين عن زاد معرفي .. كائن ضخم الجثة .. عذب النفس .. انيس .. ينقلب في لحظات من اقصى درجات الجدية الى اعلى مراتب الهزل .. يقهقه فتتحول الغرفة الى نكتة فنكتة وثانية وثالثة والى مالانهاية .. سريع البديهية صريح يترك مظهره لدى من لايعرفه بانه شخص صعب وصارم لكن هذا الانطباع سرعان ما يتغير ليترك خلال دقائق انطباعات اخرى عن رجل يعشق الحياة قدر عشقه للفن. الذين كانوا يترددون على غرفة المفرجي منذ بداية السبعينيات يرونه في الحالة نفسها من جلساته الشهيرة وراء مكتبه فهو يجلس وحوله العديد من الاضابير مليئة بقصاصات الورق وهي بمثابة (دليل) مرتب حسب الابجدية دون عليها المفرجي مختلف المعلومات والمراجع بشان هذه المسرحية او ذلك الفلم او تلك الحادثة الثقافية. هذا الدليل هو العدة الضرورية التي كان يستخدمها المفرجي لتوثيق كشوفاته وكتاباته الخلاقة في ميدان الفنون..

المفرجي حكاء ممتاز ومميز يتدفق بحكاية الوقائع والاحداث فتتناسل الحكاية من الحكاية ونادرا ما تراه صامتا .. رجل ضاج بالحياة لكن الحياة ادارت له ظهرها في سنوات عمره الاخيرة فتوقف الراوي عن الحكاية وتحولت الحكاية الى اشباح تطارد المفرجي الى ان انتهت به الى الموت بحادثة مفجعة وضعت حدا لحياة كانت ضاجة بالاحلام والامال والمشاريع ..

جلسة المفرجي هذه الى الكتابة والبحث كانت بالنسبة اليه مختبراً وورشة ثقافية للبحث الدائم في اصول الفن العراقي ورائدا للكشوفات التي تميزت بالغنى المعلوماتي.. بين حين وحين كانت تتحول غرفة المفرجي الى صف تدريسي الاستاذ فيه احمد فياض المفرجي المثقف الواسع القرارات والتلاميذ هم طلبة دراسات عليا في المسرح والسينما جاءو يطلبون العون والواقع ان المفرجي علم الكثيرين وانا منهم في هذا المجال بمعنى انه قد نقل لي الكثير الكثير من الوان فن دراسة تاريخ المسرحية العراقية وهو الفن الذي اكتسبه بمثابرته والذي ظل ينميه طوال حياته الغنية بالانجازات .. والمفرجي حكاء ممتاز ومميز يتدفق بحكاية الوقائع والاحداث فتتناسل الحكاية من الحكاية ونادرا ما تراه صامتا .. رجل ضاج بالحياة لكن الحياة ادارت له ظهرها في سنوات عمره الاخيرة فتوقف الراوي عن الحكاية وتحولت الحكاية الى اشباح تطارد المفرجي الى ان انتهت به الى الموت بحادثة مفجعة وضعت حدا لحياة كانت ضاجة بالاحلام والامال والمشاريع .. اثنا عشر عاما تمر على وفاة المفرجي لكنني اراه كلما قادتني خطواتي الى بناية المسرح الوطني اراه مراة شاخصة في صدر قاعة المسرح العراقي .. مراة كبيرة نرى فيها انفسنا وملامح المسرح العراقي .. مراة هائلة تسكنها وجوه وهامات رسمها المفرجي بريشة بارعة وصادقة وجوه تملك حضور وحياة واستمرارية في الزمان اكثر من الاحياء انفسهم .. شانها شان كل فن عظيم.

احمـــد فيـــاض وحقـيقـــة الاشيـــاء

يوسف العاني

ليس البارحة ولا قبل سنة او سنتين او عشر سنوات وانما قبل اكثر من اربعين سنة تزيد او تقل شهورا .. المكان معهد الفنون الجميلة شاب نحيل اسمر اللون ضاحك الوجه يوما متجهم الملامح يوما اخر يجادل طويلا ويصمت طويلا وفي كلا الحالتين تحس بان لديه وجهة نظر ليس من السهل التغلب عليها لانه يحمل دلالاتها ووثيقتها .. وفي عام ١٩٥٩ كنت من ضمن من اسهموا في القاء المحاضرات ولمدة قصيرة في المعهد وكانت مادتا الابتكار والتمثيل الصامت حصتي من تلك المحاضرات .

منذ ذلك الزمان وفي ذلك المكان عرفته .. احمد فياض المفرجي ثم بعد ذلك الزمان وفي غير ذلك المكان عرفته اكثر واكثر وما كنت لولا مفارقة لم تخطر على بالي .. وادري انه كان موظفا في وزارة العدل وانه كاتب ضبط في اكثر من محكمة ..مرة في محكمة الجزاء واخرى في الصلح وثالثة في دعاوى المرور وياتي مساء كل يوم محملا بوقائع يسجلها عنده خارج سجلات المحكمة او يؤمنها ذاكرته ثم يتسلق سلما اخر وهو الفن من درب المسرح والسينما والفن التشكيلي ايضا .. يكتب ويسجل ويؤرخ وينظم شعرا بل الف كتابا عن شعر المراة . وشعره كان رقيقا وانيقا ولا ادري لم هجره .. ترى هل اعتناقه او اختناقه بحقيقة الاشياء هكذا كنت اسمي ارشفة وتحقيق الاشياء .. ان نجد حقيقتها ونسجلها بامان .. كنا نلتقي واحكي له ما في الذاكرة وما اطلعت عليه في كتاب او في قصاصة فيبتسم ويمسك القلم فيكتب ويأتيني في اليوم التالي اما مؤيدا او مصححا او ساكتا لايقول شيئا .

مرة رويت له حادثة طريفة يوم كانت سينما رويال مسرحا .. في الثلاثينيات او قبل الثلاثينيات جاءوا يوما فلم يجدوا الستارة وحاروا بمصيرها فلم يعرفوا السارق او من اخذها بعد اكثر من شهر دخل حارس المسرح يرتدي معطفا يقيه من البرد كان من قماش الستارة المسروقة صرخ احمد (بديع) اريد معرفة تاريخ الحادثة .. والمسرحية التي كانت تمثل قلت له الحادثة رواها اخي عبد الغفور وأيده صديقه المحامي عباس بغدادي فراح يبحث عن عباس وهو ذاكرة تاريخ الحدث التقريبي وعرف المسرحية وارتاح ضميره كما قال لي .

ورحنا نعمل معا في المركز العراقي للمسرح وفي مهرجانات ومؤتمرات المسرح والسينما خارج العراق وداخله عمل الراحل في الصحافة كثيرا وفي نقابة الفنانين كان اعلام وتوثيق دائرة السينما والمسرح على كتفه عبئا مريحا عزله عن كل الاشياء الاخرى ليختنق كما قلت بحقيقة الاشياء الفنية وقبل أكثر من ثماني سنوات لنؤبن ونقول كلمات كما قلناها في حقي الشبلي ويحيى فايق وعبد الله العزاوي وفوزي محسن الامين وجاسم العبودي وناجي الراوي وابراهيم جلال ويعقوب الامين ومحمد القيسي وحامد الاطرقجي وبهنام ميخائيل وطعمة التميمي وفوزي مهدي وعزيز علي ونزار سليم وليلى العطار وكامل القيسي وزاهر الفهد وهاني هاني وعبد الرحمن فوزي وعبد الجبار كاظم واخرين واخرين فارقونا بهدوء وودعناهم بصمت وينفض الجمع وتبقى في النفوس حسرات وحسرات تتبخر بعد حين مع الزفرات ومرارة الحياة فلا تستقر على قاعدة التاريخ الذي يقرأ فالاستاذ ذاك التاريخ قد مات احمد الذاكرة والقلم والاوراق المتكدسة والصحف والكتب والمجلدات والقصاصات حتى اوراق السكائر كانت عنده مصدراً يخبئها عن اعين الكثيرين لكنه وكما قلت يخبئها في صندوق الذاكرة الذاكرة الحقيقية لتظل مصدراً للآتي من الزمن وللآتين من الدارسين والباحثين عن الذي كان والذي سيكون. الغريب انني حسبت انه سيموت في ثلاث مناسبات الاولى كانت عام ١٩٧٦ يوم حملنا اخاه زهرة المسرح العراقي فاروق الى مثواه الاخير كان يسير بعيدا عني في ذلك اليوم تركت الفاجعة عندي خدرا في يدي اليسرى ولم اقدر على تحريكها. لم احك لاحد.. لكننا وحينما اودعنا فاروق الثرى صرخ احمد (استاذ يوسف فاروق ما عنده دور في مسرحية الخان؟.) وبكى .. نعم صرخت وبكيت بحرقة عاد الدم الى يدي في ذلك اليوم وانا اراقب احمد وما حل به .. حسبت انه سيموت لكنه لم يمت ..

المناسبة الثانية يوم ماتت زوجته الفاضلة الكريمة على كتفه وهو في طريقه الى المستشفى كان مذهولا ماخوذا محسوسا بلا حياة لكن احمد لم يمت..

المناسبة الثالثة عام ١٩٩٤ يوم وجدت ورقة كتبها بخط يده يعلن عن عزمه على الانتحار بعد ان يئس من الدنيا وباع مكتبته ومزق كل اوراق ومصادر ارشيفه الثمينة . وفي وصيته تلك كان يدعو اصدقاءه الى ان لايبحثوا عنه وان يتركوه في المكان الذي سينتحر فيه .. لكن احمد لم ينتحر ولم يمت .. هذه المرة جاءنا الخبر تماما كما ياتينا النبا العجب لاندري اصحيح ام خطا؟. احقيقة ام خيال ؟. وكنت انا وعادل كاظم نريد زيارته عسانا ان نخرجه من صومعته وعزلته ونرش املا في صحرائه المجدبة القاحلة عسانا نعيده الى الحياة من جديد .. الغريب الغريب .. اننا كنا نفكر بالحياة الجديدة له واحمد فياض قد فارق الحياة من دون ان ندري.

المفرجي مع يوسف العاني

الحيـــاة مع الـــوثـيقـــة

هدية حسين

المفرجي مع بدري حسون فريد ومحمد سعيد الصكار وكريم عواد واخرين

احمد فياض المفرجي باحث استهوته الوثيقة منذ اكثر من ثلاثين عاما وربما هو حب الغور في التفاصيل الماضية .. اصدر عددا من الكتب اهمها ما خص به المسرح والسينما وله دراسات وبحوث في الفن التشكيلي حيث اصدر كتابا عن جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين عام ١٩٧٩ هذه الجمعية التي تاسست عام ١٩٥٦ وكاد تراثها يندثر .. ليس من السهولة الحصول على وثيقة كما يعتقد البعض اذن ما هي السبل التي توصلك اليها؟..

- عام ثلاثة وسبعين تاسس المركز الوثائقي للمسرح في دائرة السينما والمسرح وفي تلك الفترة قمت بجولات في كل محافظات القطر واقضيته ونواحيه حصرا وزرت معظم مكتباته واجريت لقاءات مع الرواد الاحياء في ذلك الوقت ومن هذه المصادر لملمت والوثائق واودعتها في المركز الوثائقي المؤسس حديثا .. كما وجهنا نداءات الى فناني المسرح في العراق الذين استجابوا لنداءاتنا فاودعوا الكثير من اوراقهم ووثائقهم وهكذا اصبح في العراق مركز وثائقي يرجع اليه الباحثون من الداخل والخارج عربا واجانب ..

- هذا فيما يخص المسرح .. على الصعيد القصصي ماذا عن تلك المحاولة ؟.

- كان ذلك في اواسط السبعينيات حيث تبنت دائرة الاذاعة والتلفزيون جمع التراث القصصي فتألفت لجنة برئاسة الشاعر الدكتور مالك المطلبي وكنت احد اعضائها مع ياسين النصير وباسم عبد الحميد حمودي وفاضل ثامر والمرحوم الناقد عبد الجبار عباس وكانت فرصة لاجراء مسح جديد لشكل جديد من اشكال الثقافة العراقية حيث قمنا بمسوحات في كل المحافظات وزرنا جميع المكتبات وجمعنا ما جمعناه من القصص التي كانت تقرا من قبل لجنة وتدون معلومات عن كل كتاب في كارت خاص.

- ما السبب في تاخر الاهتمام بالتوثيق ؟.

- عدم الاهتمام بالتوثيق مظهر من مظاهر التخلف والسبب الاهم هو غياب المعنيين بالتوثيق .. اما السنوات الاخيرة فقد شهدت اهتماما بالتوثيق واصبحت له مؤسسات تعنى به ابرزها مركز المعلومات في وزارة الثقافة والاعلام كما ان مراكز البحوث والتوثيق تاسست في الجامعات وتحقق هذا بعد ان اشتدت الحاجة الى المصادر التي تعين الاساتذة في بحوثهم ودراساتهم.

- اهتمامك بالوثيقة من اين جاء؟.

- جاء هذا الاهتمام بالمصادفة ففي عام ١٩٦١ كلفت بكتابة سلسلة من المقالات عن المسرح العراقي وبلغت حلقات المسلسل ما يقارب العشر فوجدت متعة بالعمل خصوصا انني كنت التقي عددا من رواد المسرح العراقي ولم تكن انذاك مصادر مطبوعة في المسرح العراقي واثناء نشر تلك الحلقات كانت تاتيني الرسائل من الفنانين والقراء تضيف لي معلومات جديدة وتصحح بعض الاخطاء التي اقع فيها وتستدرك بعض الامور التي تفوتني.

- بعد كل هذا الجهد الذي امتد الى سنوات طويلة نود ان نتوقف عند الاسباب التي دعتك الى تمزيق الوثائق المهمة التي كان ارشيفك الخاص يحتفظ بها؟.

- هنا توقف طويلا .. غابت نظراته بعيدا ليجمع الخيوط المتشابكة .. اراد ان يعتذر عن الاجابة الا ان الحاحي لم يدع له المجال فقال لي : ترصدني القدر لمدة سنتين حتى شعرت باليأس من كل شيء وتعطل عندي مركز التفكير وفقدت الاشياء. لكل الاشياء قيمتها امامي وفي لحظة من هذه اللحظات مزقت الارشيف وليس المقصود هو الوثائق بالذات انما ما يمثله هذا التمزيق من كل الاشياء التي تمزقت امامي.